الأكاديمية العربية الدولية
Arab International Academy

إسم المادة: الغزو الفكري

إسم الدكتور: د. بكر الزاملي

الأكاديمية العربية الدولية – منصة أعد

مقدمة عامة:

اخبرنا الله تعالى في مواطن عدة في عرضه لقصص الأنبياء ما واجهوه من هذه الحروب الفكرية للصد عن الحق وتلبيس الحق بالباطل، في تلك الحروب التي قادها شياطين الإنسان بوسائل متعددة، من إرجاف وتشنيع واختراع النقائص، والتصاق التهم، وإثارة الجدل، وإطلاق الشبهات، واقتراح المعجزات تعجيزاً، وكثرة السؤال عناداً، بأساليب الاستهزاء والاستخفاف والسخرية.

وقد بدأت الحرب الفكرية في بداية الدعوة الإسلامية بالتشكيك في مصداقية نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والطعن في شخصيته لزعزعة ثقة الناس فيه عليه الصلاة والسلام ويبين لنا القرآن الكريم جانباً من تلك الدعاوى مع رد مزاعمهم، فقد اتهمه كفار قريش بالجنون وفي ذلك نزل قول الله تعالى: "وقالوا يا أيها الذين نزل عليه الذكر إنك لمجنون" الحجر(٦)

وسارع أعداء هذا الدين إلى الأخذ بجميع الأسباب التي تبقيه صريعا وتضمن لهم السيطرة الدائمة على المسلمين وعلى بلادهم، ووضعوا لذلك مخططا رهيبا وسهروا على تنفيذه بدقة وإحكام إلى أن أتى جميع الثمار المرجوة منه.

سنبين في هذه المادة حول هذا الموضوع هذا الصراع الفكري ووسائله وأهم مظاهره وكيفية مواجهته.

الأكاديمية العربية الدولية
Arab International Academy

محاور المادة:

١- تعريف الغزو الفكر ونشأته.

٢- أهم وسائل الغزو الفكري.

٣- مظاهر الغزو الفكري.

٤- أهداف الغزو الفكري.

٥- كيفية مواجهة الغزو الفكري.

تعريف الغزو الفكر ونشأته:

تعريفه: هو غزو غير مسلح غزو للأفكار والعقول، وذلك بعد أن أدرك الأعداء أن الغزو المسلح لا يكفي لإضعاف الثقافة الإسلامية، فعمدوا إلى غزو العقول والأفكار لتحقيق هدف عام وهو إضعاف الإسلام والمسلمين.

نشأة الغزو الفكري:

بعد فشل الحروب الصليبية وعدم استطاعة الصليبين السيطرة على المسلمين بالوسائل العسكرية تنادى مفكروهم وقوادهم إلى ضرورة استحداث أسلوب آخر يكفل لهم تحقيق أهدافهم، فكان هذا الأسلوب المطلوب هو الغزو الفكري.

يقول لويس التاسع ملك فرنسا بعد أن وقع في الأسر وبقي سجيناً في المنصورة يقول(إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده، فقد هزمتم أمامهم في معركة السلاح ولكن حاربوهم في عقيدتهم فهي مكمن القوة فيهم)

وبالفعل بدأت الحملات الصليبية ولكن هذا المرة عن طريق الفكر وبالفكر، واستخدمت الوسائل المتعددة والأساليب الكثيرة لتحقيق ما يريدون، سواء كان ذلك عن طريق الوسائل التعليمية أو عن طريق الوسائل الاقتصادية أو عن طريق الوسائل الاجتماعية أو عن طريق الوسائل السياسية، مما سيأتي الكلام عنه مفصلا عند الكلام على وسائل الغزو الفكري.

أهم وسائل الغزو الفكري:

١. **الإعلام**: استغل الغربيون والمستغربون وسائل الإعلام المختلفة لحرب الإسلام، حيث أصبح المدافع عن أرضه وبلده إرهابيًّا والمحتل مدافع عن نفسه، وإذا نظرنا نظرة سريعة إلى بعض وسائل الإعلام ترينا مدى البلاء الذي تصبه ليل نهار لتشويه صورة الإسلام والمسلمين، والإساءة إلى معتقداتنا وشعائرنا وسلفنا وعلمائنا، سيل من الشبهات التي تشكك في الدين وأحكامه، وسيل آخر من الأفلام والتمثيليات والمسرحيات التي تتهكم بالإسلام، وتقوم بعرض نماذج من أنماط الحياة تعكس الإسلام في كل شيء، فتمجد الجريمة، وتدعو إلى الفسق والفجور، وتنفر من الحياة المستقيمة الفاضلة، وتتهكم بالمسلمين والمسلمات، وتتخذ الدين هزوًا، وتعرض ما حرَّم الله: كالرقص الفاضح، وشرب الخمر، والكذب والدجل.

وقد ازداد خطر هذه الوسيلة مع انتشار الفضائيات، وتنامي الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) حيث نجد المواقع التي تثير الشبهات، وتشكك في العقائد، وتنشر المذاهب الباطلة.

أهم وسائل الغزو الفكري:

٢ـ **تقليل الاهتمام بمواد الدين:** ويتم ذلك بما يلي:

- تقليصها في الجدول الدراسي.
- دعوى صعوبتها، وصعوبة فهمها.
- جعلها في آخر الجدول اليومي، مما يجعلها في وقت تعب وملل.
- التقليل من شأن مدرسها.
- دعوى أنها لا تلبي حاجة المجتمع.
- دعوى أن الطالب ربما يستفيدها من خارج المدرسة.

أهم وسائل الغزو الفكري:

- جعلها مادة لا يترتب عليها نجاح الطالب، وإنما للفائدة فقط.

- جمع مواد الدينية كلها تحت مسمى واحد كأن تسمى مادة الثقافة الإسلامية مثلاً، أو مادة إسلامية، أو دين أو تربية إسلامية وهكذا.

- حصر الدين في المواد الشرعية وإخراج العلوم الأخرى كالاقتصاد والاجتماع وعلم النفس والعلوم الإدارية والعلوم التطبيقية.

- تدريس المواد غير الشرعية بعيداً عن الدين فالاقتصاد بعيد عن الإسلام أو فيه مخالفات شرعية كثيرة، وعلم الاجتماع كذلك، وعلم النفس كذلك، والعلوم التطبيقية لا تربط بقدرة الله، وإنما الطبيعة هي كل شيئ..

- تقسيم المدارس أو التخصصات إلى دينية وغيرها مما يولد الشعور عند الطالب أن الدين لا يصلح في التخصصات الأخرى.

- تهيئة الفرص الوظيفة لخريجي الأقسام غير الشرعية، وتقليل هذه الفرص بالنسبة لخريجي الأقسام الشرعية، مما يجعل الطالب لا يحرص على دخول هذه الأقسام.

أهم وسائل الغزو الفكري:

٣- هدم اللغة العربية: ويتم هذا بما يلي:

- الدعوة إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية بدعوى أن الحركات لا تكتب.

- الدعوة إلى العامية والبعد عن الفصحى.

- دعوى صعوبة اللغة العربية وعدم قدرة النشء على تعلمها.

- الدعوة إلى تعلم اللغات الأجنبية، وربما للصغار مما يفسد لغتهم الأصلية.

- تشويه التاريخ الإسلامي: ويتم هذا بما يلي:

- تصوير أن الإسلام لم يعش إلا في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعهد الخلفاء الراشدين، وما بعده انحرف المسلمون عن الإسلام.

أهم وسائل الغزو الفكري:

- إبراز مظاهر الانحراف التي حدثت في عصور الإسلام، وجعلها هي الأصل والأساس، وبالذات الانحرافات السياسية.

- إلصاق التهم السيئة بنوايا الفاتحين، وبنوايا المصلحين، كاتهام الفتوحات الإسلامية بأنها نوع من الاستعمار.

- تمثيل المواقف الإسلامية أو المعارك بتشويه متعمد، فهذا القائد يحب ابنة الخصم أو يحب أخرى، وعلاقات الحب تمثل مع عدم وجود مستند تاريخي لها، وكتابات جورجي زيدان في التاريخ الإسلامي شاهد على ذلك.

٤- **الاختلاط**: وهذا يكون في مسلك التعليم وفي غيرة، فأما في التعليم فيتم في البداية في الروضة، وفي المختبرات في الجامعات ونحوها، ثم في المراحل الأولية من الدراسة الابتدائية، ثم يتطور بعد ذلك إلى ما هو أكثر.

هذا في المدارس الحكومية وأما المدارس الأجنبية فالأمر مختلف فالاختلاط فيها ظاهر سواء بين الطلاب والطالبات أو بين المدرسين والطالبات أو بين المدرسات والطلاب أو بين المدرسين والمدرسات.

وأما غير التعليم فالاختلاط يكون في المستشفيات، وفي الحدائق، وفي مطاعم العوائل، وفي الأسواق، وفي المنتزهات وغيرها.

أهم وسائل الغزو الفكري:

٥- الابتعاث:

ويعني إرسال أولاد المسلمين إلى البلاد الكافرة للتعلم هناك وهذا قد تضطر له الدول الإسلامية لتتعلم العلوم التي سبقتنا فيها البلاد الكافرة، ولكن الإشكال حينما يفتح الابتعاث على مصراعيه لكل أحد، وبدون ضوابط ولا عوامل حماية للمبتعثين، فيذهب المبتعث ويرجع بفكر غير الذي ذهب به.

الدعوة إلى تعلم اللغة خلال الصيف في مدارسهم ومعاهدهم في بلادهم الكافرة، فيذهب الشاب إلى هناك، وربما سكن مع عائلة كافرة، مما يجعل فرصة تأثره بأفكارهم ومعتقداتهم سانحة، وربما احتقر بلاده وتعاليم دينه.

- نشر الأفكار الهدامة التي تدعو إليها بعض المؤتمرات والمنظمات والجمعيات العالمية.

- الحديث عن أعيادهم، ونشر ما يحدث فيها كعيد الميلاد وعيد الحب.

- الدعوات إلى الفرق والأديان الباطلة.

أهم وسائل الغزو الفكري:

- زعم التقريب بين الأديان، والدعوة إلى الندوات والمحاضرات والمؤتمرات لمناقشة هذه القضية.

- محاولة نشر الكتب أو الكتيبات أو النشرات التي تدعو إلى أديان باطلة أو تشكك في الدين الإسلامي.

- الدخول من باب الأدب لحرف الفكر الإسلامي، فتارة عن طريق الحداثة، وتارة عن طريق القصص الغرامية، وتارة عن طريق فكر مخالف للدين بدعوى الحرية الفكرية.

- نشر الأدبيات المنحرفة وتمجيد أصحابها، سواء كان عن طريق القصة أو الشعر أو غيرها، وكتاب في جريدة شاهد على ذلك.

- ترجمة غير المفيد من اللغات الأخرى فلا تترجم الكتب العلمية المفيدة و إنما تترجم الغراميات، أو التي تحمل الأفكار العلمانية أو الإلحادية.

- استغلال الإذاعة أو التلفزيون أو القناة الفضائية لبث الأفكار التي يريدون.

أهم وسائل الغزو الفكري:

٦ـ **استغلال العادات والتقاليد:** ويتم عن طريقين:

- استغلال واقع خاطئ يعيشه المجتمع المسلم أفرزته العادات والتقاليد البعيدة عن الإسلام، فيقوم هؤلاء باستغلال هذا الوضع ويهاجمونه هجوماً شديداً لا لرد الناس إلى الحق ولكن للشطوح بهم بعيداً عن الدين.
- الحرص على جعل تعاليم الإسلام عادات وتقاليد مما يهون من شأنها ويسهل تركها، كالحجاب مثلاً.

٧ـ **إفساد المرأة:** والدعوة إلى تغريبها وسفورها واختلاطها، ولهم في ذلك طرق كثيرة ودعوات مغرضة لأنهم يعرفون أهمية المرأة ودورها في المجتمع.

ـ استغلال النكبات في العالم الإسلامي بدعوى تقديم العون للمنكوبين المحتاجين، وهم في الحقيقة لا يقدمون العون إلا مع تقديم أفكارهم ومعتقداتهم.

ـ السيطرة على مصارف النقد ومحاربة الاقتصاد الإسلامي لإضعاف المسلمين، وبالتالي السيطرة عليهم.

أهم وسائل الغزو الفكري:

- تكثيف الدراسات الاستشراقية، والاهتمام بها لتسهل السيطرة على العالم الإسلامي.
- القيام بالعمليات التنصيرية، ورصد الأموال الطائلة، والجهود الكبيرة لإنجاحها.
- اختراع مصطلح العولمة لإذابة الفكر الإسلامي، بل ليس سراً أن نقول إن العولمة هو المصطلح الجديد للغزو الفكري.
- الضغوط الخارجية على الحكومات المسلمة لئلا تقف في وجه الغزو الفكري.
- الدعم السياسي للغزاة المحليين ممن هم على شاكلتهم، ولذا ليس سراً صلة حركات التغريب بالاستعمار وبالدول الكافرة بعد الاستعمار.

مظاهر الغزو الفكري:

أولاً حملات التشويه:

وقد مست كل ما يتصل بالإسلام من عقائد، ونظم، وتراث، وتاريخ، وفكر، وحياة، ومن أمثلة ذلك:

١. **محاولة تشويه عقائد المسلمين، بغير سند ولا دليل:** يقول رينان الفرنسي، وهو يصور عقيدة التوحيد في الإسلام: (بأنها عقيدة تؤدي إلى حيرة المسلم، كما تحط به كإنسان إلى أسفل الدرك).

٢. **محاولة تشويه القرآن الكريم:** وهي محاولة قديمة وحديثة، وهي كغيرها بعيدة عن العلم والمنطق، يقول المستشرق جب: (إن محمداً قد تأثر بالبيئة التي عاش فيها، وشق طريقة بين الأفكار والعقائد الشائعة في بيئته، فالقرآن من صنع محمد صلى الله عليه وسلم ومن ملاءمات هذه البيئة التي عاش فيها.

٣. **محاولة تشويه السنة النبوية:** التي جندوا ما جندوا من أقلام، وكتب، ومجلات، وبحوث.

٤. **محاولة تشويه شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.**

مظاهر الغزو الفكري:

٥- **محاولة تشويه التاريخ الإسلامي**: وهي من أخبث المحاولات وأكثرها دهاءاً ومكراً، فقد صور هؤلاء الحاقدون على الإسلام والمسلمين، أن الفتوحات الإسلامية فتوحات غزو واستعمار، وأن الخلافة الإسلامية خلافة تآمر، وسفك للدماء، وغير ذلك كثير مما لا يقره عقل ولا دين.

٦- **محاولة زعزعة الإيمان بالغيب عند المسلمين**: ولذا جاءت المحاولة تشكك في كل ما لا تدركه الحواس، وتفسر الجزاء عند المصدقين به بأنه جزاء روحي، والجنة والنار بأنهما شعور نفسي.

٧- **محاولة تشويه نظام الحياة الإسلامية**: وبأنه لا يوجد نظام للحياة معروف في الإسلام.

ثانياً: إحياء النـزعات الجاهلية التي لا تتفق مع تعاليم الإسلام:

كالدعوة إلى القومية، والدعوة إلى الفرعونية، والآشورية، والفينيقية، وما جرى مجرى هذا، مما يتنافى مع الإسلام، خصوصا بتجسيد الآلهة.

ثالثاً: الدعوة إلى التحلل والإباحية:

من أجل طعن الأمة في أخلاقها وقيمها، وقد شاعت في المجتمعات الإسلامية أمور تعافها الفطر السليمة، ولكنه الانحراف الذي لا يعترف بالقيم الفاضلة.

رابعاً: إبعاد العلماء والدعاة عن مراكز التوجيه والقيادة:

وذلك أمر له خطورته، وفي بعض المجتمعات تقلص دور العلماء، وأصبح قاصراً على خطبة الجمعة، وبعض الأحاديث التي تخضع للعيون الساهرة والمراقبة الدقيقة، وأصبح بعض العلماء يجرون وراء المناصب جرياً، تذل له الجباه، ويطلبون المناصب بما لهم من مآثر في الأتباع، وأياد في التصفيق والتأييد.

خامساً: التعليم والثقافة:

ولا يخفى أن الغزو الفكري، ينتشر من خلال مدارس التعليم ومعاهده وجامعاته أفضل من أي مظهر آخر، وقد دخل الغزو الفكري إلى العالم الإسلامي، من باب يخيل إلى السطحيين من الناس أنه الباب الطبيعي، إذ حمل اسم العلم والمعرفة والتمدن، يقول القس زويمر: (المدارس أحسن ما يعول عليه المبشرون في التحكم بالمسلمين).

وبما أن الثقافة ليست علوماً ومعارف وأدباً وفنوناً فحسب، بل مناهج فكر وخلق، تصطبغ حياة الأمة بصبغتها في شتى ضروب نشاطها، فإن (الغزو الفكري) استطاع من خلال الثقافة، أن يلقي بمزيج من الأخلاط الغربية الملتمسة من الفكر الغريب المنحرف، والتوجيه الفاسد، القائم على التخطيط الشرير. ولذا قام الغزو الفكري بالدعوة إلى الأغراض الآتية:

١- الدعوة إلى إضعاف العلاقة بين المسلمين بقطع الروابط الثقافية وإحياء الثقافات الجاهلية.

مظاهر الغزو الفكري:

٢- الدعوة إلى العامية، و إلى تطوير اللغة.

٣- إيجاد الشعور بالتبعية الثقافية، والشعور بمركب النقص.

٤- دفع الجامعات إلى الاعتماد على كتب المستشرقين العلمية.

٥- توهين جهود المخلصين الثقافية والإبداعية.

٦- تمجيد القيم الغربية، وتسفيه القيم الإسلامية، والدعوة إلى نبذها.

٧- لفت أنظار المجتمعات إلى القشور، وإلهائها عما يفيد وينفع.

٨- إحياء المذاهب الفلسفية والجدلية، والبعد عن الأساليب العلمية.

مظاهر الغزو الفكري:

٩- إنشاء الموسوعات التاريخية الإسلامية، وبذر الشكوك ولي الحقائق من خلالها.

١٠- الحرص على تكوين جيل مثقف، يحمل راية الاستشراق والدعوة إليه.

١١- الدعوة إلى تدريس العلوم الطبية وغيرها بلغات غير اللغة العربية، ليظل المسلم عنده إحساس بعجز اللغة العربية لغة القرآن.

سادساً: الخدمات الاجتماعية:

واستغلالها كطريق يساعد على إمرار ما يراد إمراره، ولذلك أصبحت المخيمات، والمستشفيات، والمستوصفات، والجمعيات الخيرية، ووكالات الإغاثة، ودور الأيتام، والمسنين، وغيرها. . .. مراكز غزو!!

أهداف الغزو الفكري:

١. نشر الحقد والكراهية بين الشعوب ضدّ المسلمين، وذلك من خلال إلصاق تهم التطرّف والتشدّد والإرهاب.

٢. اتباع أساليب غير مباشرة في تحييد مشاعر المسلمين وجذبهم، ويُهاجمون الإسلام باسم السلوك الديني أو الوعي الديني.

٣. تحريف تفسير دلالات الإسلام وانتهاج أسلوب المغالطة المنهجية.

٤. غرس بذور أفكار مستجدّة في عقول الشعوب وإلصاقها بالإسلام.

٥. تمجيد اللغات اللاتينية وإضعاف اللغة العربية.

٦. إشعار العرب والمسلمين خاصّةً بالنقص والتخلّف.

أهداف الغزو الفكري:

٧- إجبار غير مباشر لدور التعليم على وضع كتب المستشرقين بيدي الطلبة.

٨- تهميش جهود العلماء المسلمين العرب.

٩- إيجاد مذاهب فلسفيّة دون الاعتماد على أساليب علمية.

١٠- خلق موسوعات وإلصاقها بالتاريخ الإسلامي لتشكيك المسلم بتاريخه المعاصر.

١١- ضم الأجيال القادمة تحت جناح الاستشراق.

١٢- إيلاء الأهمية الكبرى للشكليّات والقشور المظهر الخارجي، وإغفال الأمم عما يهمّها وينفعها.

١٣- الرغبة بإرجاع الشعوب المسلمة إلى زمن الجاهلية.

كيفية مواجهة الغزو الفكري:

١- بيان خطر هذا الغزو على الأمة.
٢- استخدام نفس الوسائل التي يستخدمها الغازي لتوعية الأمة بشرط تقيد تلك الوسائل بالضوابط الشرعية.
٣- تربية الأمة وإرجاعها إلى دينها واستخدام كافة الوسائل المتاحة من أجل ذلك.
٤- إزالة الشبهات التي يلقيها هذا الغزو في أفكار الأمة.
٥- وصمام الأمان من هذا الغزو هو دعوة المسلمين وتربيتهم على أحكام وآداب دينهم.

تم بحمد الله